العنوان:	عمارة المسجد فى الساحل الشرقي الأفريقي حتي نهاية القرن 9 هـ / 15م
المصدر:	آداب الرافدين (العراق)
المؤلف الرئيسي:	جميل، بشار أكرم
المجلد/العدد:	ع 52
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الصفحات:	95 - 122
رقم MD:	421706
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الدعوة الإسلامية ، الهندسة المعمارية، المساجد ، أفريقيا ، الساحل الشرقي ، العلاقات التجارية ، الفتوحات الإسلامية ، طرق التجارة ، الفنون التشكيلية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/421706

عمارة المسجد

في الساحل الشرقي الأفريقي

حتى نهاية القرن 9 هـ/15م

م.د. بشار أكرم جميل(*)

ارتبط الساحل الشرقي الأفريقي (1)، بالعرب بعلاقات قديمة سابقة للإسلام، أسهم في توطيدها أكثر من عامل، إلا أن العامل الأكثر تأثيراً كان يتمثل بالتجارة(2)، وقد ساعد على ذلك حب العربي للتجارة والبحث عن فرص الربح في كل مكان، ولذلك حفزتهم الأرباح التي جنوها في عملهم على الساحل للبقاء مدة أطول هناك، ومن ثم الاستقرار بشكل كامل في المنطقة(3). وقد ساعد ذلك التواصل

(*) قسم التاريخ ـ كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) الساحل الشرقي : ويمثل المنطقة الممتدة من شمالي ارتيريا حتى بلاد سفالة (Sofala) أقاصي بلاد الزنج الواقعة في أقصى الجنوب من موزنبيق ، وتمتد من الساحل شرقاً إلى داخل القارة الأفريقية غرباً حتى الحدود الغربية الحالية للحبشة وأوغندة وكينيا وتانزانيا وموزنبيق ، كما يضم مجموعة الجزر المقابلة للساحل مثل كلوة وبمبة وزنجبار ومافيه وجزر القمر ومدغشقر . ينظر : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت: 1981) : 224/1؛ عمر سلهم صديق ، الحركة الصليبية في ساحل شرق أفريقيا (669-950هـ/1270-1543م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (الموصل:2001) ، ص12 . وتنظر الخارطة في نهاية البحث .

(2) سبنسر ترمنجهام ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ترجمة : محمد عاطف النواوي ، مراجعة : فؤاد محمد شبل، مكتبة الانجلو المصرية ، ط1 ، (القاهرة : 1973) ، ص35.

(3) شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، (القاهرة : 1971) ، ص37 .

بين الطرفين في حدوث اندماج بينهما من خلال اعتياد أولئك الأفارقة على رؤية التجار العرب بينهم، والتعامل معهم دون حذر أو خوف من خديعة في التعامل لما يتمتع به العربي من صفات حميدة كالصدق والشجاعة والكرم والمروءة، وهي صفات جعلته مقبولاً من الآخرين[4].

فضلاً عن أن قيام تلك العلاقات ومنذ مدة سابقة للإسلام كان بسبب قرب السواحل العربية من ساحل شرق أفريقيا ولاسيما عند مضيق باب المندب مما جعل من اليسير على العرب العبور إلى هناك [5]، كما أن معرفة العرب بمواعيد هبوب الرياح الموسمية واتجاهاتها مكنهم من تنظيم رحلاتهم إلى شرق أفريقيا تنظيماً دقيقاً[6]، فضلاً عن معرفة العرب بالفلك والنجوم واستخدامها في تحديد الاتجاهات مما جعلهم ذوي صلة بالساحل قبل غيرهم من الأمم[7]. ويبدو أن العوامل الجغرافية والمناخية قد أسهمت في استقرار الكثير منهم في الساحل .

(4) أبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، (القاهرة: 1965) : 239-235/1 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، ط1،(بيروت:1977) :350/4.

(5) جورج فضلو حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل العصور الوسطى ، ترجمة : السيد يعقوب بكر ، مراجعة : يحيى الخشاب ، مكتبة الأنجلو المصرية بالأشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة:د/ت) ، ص24 .

(6) محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ط 1 ، (ليدن:1909) ، ص131 ، الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا ، ص37 .

(7) عباس فاضل السعدي ، العرب والنشاط التجاري في المحيط الهندي منذ العصور القديمة وحتى العصور الحديثة ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، مج 24 ، ع 1، (بغداد: 1992) ، ص123 .

وبظهور الإسلام وانتشاره خارج شبه الجزيرة العربية كانت علاقة التجار العرب قد توطدت بالساحل [8]، كما أسهمت الهجرات الأولى إلى المنطقة كهجرة الصحابة الأوائل في توطيد تلك العلاقات، فقد أختار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الحبشة كمكان يهاجر إليه أصحابه وذلك لعدة أسباب منها أن الحبشة كانت ((متجراً لقريش يتجرون فيها ، فيجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً))[9].

وقد استمر التواصل بين الطرفين في عهد الخلفاء الراشدين، ففي سنة 20هـ/640م إبان عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم تجهيز حملة لفتح جزيرة دهلك[10]، وطرد القراصنة الأحباش منها إلا أن الحملة ، التي كانت بقيادة علقمة بن مجزر المدلجي لم تنجح [11]، وعلى الرغم من فشل تلك الحملة إلا أن

(8) حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء غرب القارة الأفريقية وشرقها ، (القاهرة: د/ت) ، ص127 .

(9) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، (القاهرة:د/ت) :328/2 .

(10) دهلك: وهي جزيرة في بحر اليمن ومرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، وهي من معاقل البحر . ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت: 1955) : 492/2 ؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، ط 3، (بيروت:1403هـ) : 555/2 .

(11) الطبري ، تاريخ الرسل : 112/4 ؛ إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، (بيروت:د/ت) : 101/7 .

الإسلام دخلها بعد ذلك وانتشر فيها[12]، وقام سكانها بعد إسلامهم ببناء مساجد كثيرة فيها[13].

ومن جانب آخر فقد أسهمت الفتوحات الإسلامية في بلاد النوبة [14]، سنة 31هـ/651م بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح في توطيد الإسلام هناك ، وأكدت الاتفاقية[15]، التي عقدها ذلك القائد مع حاكم النوبة على قدم وجود الإسلام هناك من خلال الإشارة إلى المسجد الموجود في أطراف العاصمة دنقلة، والتأكيد على حمايته وصيانته ضمن شروط الاتفاقية[16].

وفضلاً عن إسهام عمليات الفتح في وصول الإسلام إلى مناطق عديدة، إلا أن للتجارة والهجرات دوراً مميزاً في نشره في الساحل الشرقي لأفريقيا [17]،

(12) محمد عبد الله النقيرة ، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، دار المريخ للنشر ، (الرياض : 1982) ، ص67 .

(13) الحميري ، الروض المعطار ، ص244 .

(14) بلاد النوبة : وهي بلاد واسعة تقع جنوب مصر ، أهلها نصارى وأول بلادهم تبدأ بعد مدينة أسوان المصرية ، والرقيق المجلوب منها يباع في مصر ، وكان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد صالحهم على 400 رأس من الرقيق كل عام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 309/5 .

(15) سميت تلك الاتفاقية بالبقط وتعني تلك الكلمة في اللغة ما سقط من التمر إذا قطع ، والبقط تعني التفرقة . ينظر : أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، (بيروت : 1956) : 131/9-132؛ والبقط هو بعض ما في أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم في قرية تدعى القصر . ينظر : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية) ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة:د/ت) :199/1 .

(16) المقريزي ، المواعظ : 199/1 - 200 .

(17) يشير المؤرخ اليعقوبي إلى كثرة التجار الواصلين إلى السودان الشرقي و لاسيما إلى الحبشة بقوله: ((ولم تزل العرب تأتي إليها للتجارات ولهم مدن عظام)) . ينظر : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ودار بيروت للطباعة ، (بيروت:1960) : 218/2 .

إذ تخلق التجار بالأخلاق التي دعا إليها الإسلام ليمتلكوا سمواً عقلياً وخلقياً جعلهم مثار إعجاب ومحل ثقة واحترام سكان المنطقة، فالتاجر بطبيعة عمله كثير الاختلاط بالناس مما ساعده على نشر الإسلام بعفوية وبدون أي شك أو ارتياب [18]، وقد ساعدت علاقات الصداقة بين التجار والزعماء المحليين[19]، على دخول تلك الشعوب في الإسلام فإذا أسلم الملك وحاشيته ، بتعتهم الرعية[20].

كما أن استقرار أولئك التجار ، ومن ثم المهاجرين في السودان الشرقي ولاسيما في المدن الساحلية زاد من الاحتكاك والتداخل مع السكان الأفارقة وأسهم في نشر الإسلام بينهم ثم برزت حاجة الجميع إلى مكان يؤدون فيه فرائضهم وأولها الصلاة، التي كانوا يؤدونها في بداية ا لأمر في دورهم أو في أماكن عملهم في السوق، إلا أن ا لأمر اختلف حينما ازداد عدد الداخلين في الإسلام فبرزت الحاجة لبناء المسجد[21]، وقد حمل التجار والمهاجرون معهم كل تصوراتهم عن أساليب اختيار مكان المسجد وطريقة بنائه وما إلى ذلك، إذ إن بناء المدينة الإسلامية له شروط ينفرد بها عن شروط لبناء المدن الأخرى[22]، إلا أن ذلك لم يتحقق إلا بعد اكتمال وصولهم وبأعداد كبيرة ، لأن المدن التي وصلها المسلمون كانت بسيطة،

(18) توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن واخرون ، ط 3، (القاهرة: 1970)، ص391.

(19) J.S.Trimingham , The Influence of Islam upon Africa (London :1968) , p 39 .

(20) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة:1958): 294/1 .

(21) Freeman , G . The Medieval History of The Coast of Tanganyika (Berlin:1962) , p 205 .

(22) محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت:1988) ، ص233 .

كما أن القرى في مدن الساحل كانت صغيرة، إذ كان المصلون يجتمعون تحت ظل شجرة كبيرة ويقيمون صلاتهم تحتها ، وفي مساء الجمعة يلتقون هناك لحفظ القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية [23]، فضلاً عن كون المساجد الموجودة في بعض المدن صغيرة جداً، فقد شاهد الشيرازيون المهاجرون إلى مدينة كلوة (Kilwa) سنة 365هـ/ 975م عدداً من المسلمين الذين سبقوهم بالوصول إلى المدينة ، الذين بنوا لهم مسجداً صغيراً في أطراف المدينة[24].

لقد توضحت صورة المدينة الإسلامية منذ هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وإعلان الدولة، إذ انفردت تلك المدينة بسمات ميزتها عن المدن الوثنية أو النصرانية أو اليهودية، وكان من بين تلك الأمور المميزة وجود المسجد في المدينة والذي دفع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حال وصوله إليها في أن يفكر في اختيار مكان مناسب لبنائه يستطيع جميع سكان المدينة من الوصول إليه ، ولذلك السبب كان اختياره في وسط المدينة تقريباً[25]، ثم أمر بنقل سوق يثرب القديم إلى جوار المسجد من الجهة الغربية ليكونا اللبنة المركزية للمدينة الإسلامية [26]. ونتيجة لنجاح ذلك الأسلوب في اختيار مكان المسجد فقد

(23) بدري محمد فهد، الصلات الثقافية بين العرب وأفريقيا من خلال الحركات الشعبية، (بغداد: 1988)، ص16.

(24) عبد الله الصوافي ، السلوة في أخبار كلوة ، موضوعة ضمن كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار لسعيد بن علي المغيري ، ص 37.

(25) علي بن عبد الله الحسني السمهودي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، (بيروت:1971) :718/2 .

(26) السمهودي ، المصدر نفسه : 748-747/2.

استمر عليه الصحابة والتابع ون و لاسيما عند بناء المدن الجديدة كالفسطاط والقيروان والكوفة(27).

وبعد اتساع المدينة الإسلامية وبناء أكثر من مسجد فيها لترامي أطرافها صار من الضروري أن يكون المسجد الذي يُبنى في وسط المدينة مسجداً جامعاً تُقام به صلاة الجمعة في حين تُبنى في أطراف المدن مساجد أخرى صغيرة(28)، كما أن اتساع المدينة فرض على مخططي المدينة التخلي عن توسيط المسجد وجعل مكانه قريبة من السوق سواء كان السوق وسط المدينة أم في أطرافها، وهو ما حصل في سامراء حينما بُني المسجد في الجانب الشمالي من المدينة(29).

أن وجود مسجد جامع واحد في المدينة الإسلامية استمر قرابة خمسة قرون فمدينة الموصل كان فيها المسجد الجامع فقط الذي بُني عام 16هـ / 637م، وبُني المسجد الثاني والثالث الجامع في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كالجامع النوري (566 – 568 هـ / 1170-1172م) والجامع المجاهدي (572 – 576هـ /1176-1180م) (30)، كما لم يكن في مدينة القاهرة سوى جامع واحد للجمعة وخطبة واحدة منذ تأسيسها وحتى بُني مسجد آخر في عهد الملك

(27) وجيه الدين أبو عبد الله عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الربيع ، تيسيير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ، (بيروت:1977) :216/4 .

(28) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، خرج أحاديثه وعلق عليه : محمد ناصر الدين الالباني ، المكتب الإسلامي ، ط5 ، (بيروت:1983) ، ص54-55 .

(29) عثمان ، المدينة الإسلامية ، ص237 .

(30) أبي الحسن علي بن محمد عز الدين بن الأثير ، الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل ، (القاهرة : 1963) ، ص170 .

الظاهر في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، والأمر نفسه ينطبق على مدينة دمشق، إذ بقيت على مسجد جامع واحد منذ فتحها وحتى رمضان سنة 756هـ/1355م[31].

فلقد راعى المسلمون في اختيار دار الإمارة (دار الملك أو السلطان) أن يكون مجاوراً للمسجد الجامع، وذلك بحكم الترابط ما بين الأحداث السياسية الجارية داخل دار الإمارة والمكانة الدينية للجامع والذي يُعد المنبر السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمسلمين في بداية الأمر، إذ يتم من خلاله مناقشة أغلب المشاكل التي تحدث خلال الأسبوع [32]، وبعد ذلك تم بناء مسجد آخر قريب من السوق ليتسنى لجميع من في ذلك السوق الصلاة فيه[33].

وبعد اتساع المدن الإسلامية وازدياد عدد المسلمين ازداد معه عدد المساجد، كما اتسعت مساحة الأرض المبنية عليها تلك المساجد ولاسيما الجامعة منها، كجامع مدينة كلوة (Kilwa)[34] الذي كان يتسع لمئات المصلين، وهو واسع جداً بالقياس إلى المسجد القريب منه الذي لا يتسع لأكثر من ثلاثين مصلياً فقط[35]، كما

(31) أبن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : 150/7 ؛ القاسمي ، إصلاح المساجد ، ص64 .

(32) هاشم يحيى الملاح ، حكومة الرسول دراسة تاريخية دستورية مقارنة ،دار الكتب العلمية، بيروت : 2007) ، ص40 .

(33) عثمان ، المدينة الإسلامية ، ص117 .

(34) كلوة : وهي إحدى جزر الساحل الشرقي الأفريقي التي وصلتها هجرات إسلامية كان من بينها هجرة عرب مدينة شيراز ، ويقول عنها الحموي أنها مدينة واقعة بأرض الزنج . ينظر: الحموي ، معجم البلدان: 478/4. (صورة بقايا المسجد الجامع موضحة في الشكل رقم (5) في نهاية البحث) .

(35) سعيد بن علي المغيري ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، (القاهرة:1979) ، ص67 .

أن وجود ثمانية عشر عموداً داخل مسجد مدينة مليندى [36] دليل آخر على اتساعه [37]، وفي مدينة انجوانا (Unguona) الواقعة جنوب لامو (Lamu)[38]، هناك مسجدان كبيران يشغلان مساحة خمسين فداناً[39]. ويبدو أن المساحة الكبيرة التي كانت تُبنى عليها المساجد على الساحل حفزت الكثير من المؤرخين المعاصرين للمبالغة في تلك المساحة ؛ لأن حاصل ضرب مساحة الفدان الواحد في ما يعادله بالنظام المتري في العصور الوسطى كبير جداً [40].

ولم تقتصر سعة المسجد على مساحته بل تعد ده ، فـفي نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بُني جامع في مدينة كيسماني مافيا [41]،

---

(36) مليندى: وتسمى أيضاً ماليندي وهي مدينة تقع على الساحل الشرقي الأفريقي ، وتُعد ميناء ومركزاً تجارياً مهماً وموقعها على البحر أضفى على سكانها صفة الصيد فضلاً عن امتهانهم التجارة. ينظر: دريد عبد القادر نوري ، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4-10هـ/10-16م ، (الموصل:1985) ، ص300 .

(37) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص86 .

(38) لامو : وهي إحدى جزر الارخبيل الذي عُرف باسم الجزيرة نفسها (ارخبيل لامو) وتقع هذه الجزر على الساحل الشرقي الأفريقي ، وتتكون من جزر لامو وباتا (Pata) وماندي ، يفصلها عن الساحل شريط مائي ضيق . ينظر : نوري ، تاريخ ، ص298 .

(39) عبد الرحمن زكي ، الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا ، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، (القاهرة:1974)، مج 12، ص47. والفدان: هو مقياس المساحة المصري المفضل. ينظر: فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، (عمان: 1970)، ص97 .

(40) الفدان الواحد يساوي 400 قصبة مربعة حسب قول القلقشندي . ينظر: صبح الأعشى : 446/3. وبما أن القصبة تساوي 399 سم فأن الفدان يساوي 6368 م2 . ينظر : هنتس ، المكاييل ، ص98 .

(41) كيسماني مافيا : وهي إحدى مدن جزيرة مافيا على الساحل الشرقي الأفريقي ، وتقع كيسماني مافيا إلى الشمال من جزيرة كلوة . ينظر : ف.ف.ماتفييف ، تطور الحضارة السواحلية ، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيا العام ، (اليونسكو:1988) : 459/4 .

ذو الطابقين[42]. كما أن منطقة الحبشة كانت تمتاز بوجود مساجد جامعة تُقام فيها الصلوات المفروضة وصلاة الجمعة ولاسيما في بلاد الزيلع[43].

أما فيما يتعلق بمواد بناء المساجد فقد كانت تتكون من مواد بسيطة كاللبن المثبت بواسطة الطين، أو الخشب بحكم وجوده بكثرة في أفريقيا الذي استخدم في بناء الدور والمساجد ، إذ كانت مساجد مدينة منبسا[44]، مبنية من الخشب[45]. إلا أن تلك المواد لم تبق على حالها بل تطورت بمرور الزمن و وصول عدد من المهاجرين ذوي الخبرة في مجال البناء، إذ حمل كل مهاجر فكرة عن البناء تتماشى ورؤيته عن منطقة سكناه السابقة، فمنهم من جاء مهاجراً من عُمان كهجرة سليمان وسعيد أبني الجلندي[46]، ومنهم من جاء مهاجراً من اليمن كالزيدية سنة 122هـ / 739م وما بعدها [47]، ومنهم من جاء من منطقة الإحساء كهجرة الأخوة

---

(42) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص54 .

(43) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق وتعليق : مصطفى أبو حنيف ، مطبعة الدار البيضاء الجديدة ، ط 1 ،(الرباط : 1988) ، ص36 ؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، (بيروت : 1987) : 5 / 310 .

(44) منبسا : وتسمى أيضاً ميسى ، وهي إحدى أهم وأقدم المدن التي أسسها العرب المسلمون على الساحل الشرقي الأفريقي ، وقد بلغت أوج عظمتها وازدهارها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. ينظر : أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق : إسماعيل العربي ، ط2، (الجزائر:1982) ، ص83 .

(45) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي بن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار التراث ، (بيروت:1968) ، ص172 .

(46) محمد حسين الزبيدي ، هجرة العرب والمسلمين إلى شرق أفريقيا ـ بداياتها الأولى ـ ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، مج 23 ، 1983 ، ص106 .

(47) الطبري ، تاريخ الرُسل : 376/8 .

السبعة المنتمين لقبيلة الحارث العربية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[48].

وقد تداخل ذلك الخليط من المهاجرين مع ما يحمله سكان المنطقة الأفارقة من أفكار ليطوروا مواد وطرائق البناء في النهاية ، فحل الحجر محل الخشب واللبن، ودخلت مواد أخرى في البناء [49]، كاستخدام حجر المرجان في تكوين بلاطات كبيرة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها من 25 إلى 30سم ويتم تثبيتها بمونة الجير الناتج من حرق حجر المرجان [50]. ومع بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي استخدمت الأحجار المنحوتة ذات الأحجام المتماثلة تقريباً التي يتم تثبيتها بمادة الملاط[51]، مما سهّل عملية البناء[52].

ومن جانب آخر فقد انتقلت إلى مساجد الساحل الشرقي الكتابة على الجدران، إذ تم تثبيت نصٍ تذكاري يتضمن تأريخ إنشاء المسجد وكتابة اسم الشخص الذي أنفق على بنائه، أو الملك (السلطان) الذي تم في عهده البناء، ففي أحد مساجد مدينة زنجبار [53]، تم تثبيت لوحة على واجهة المسجد تُشير إلى سنة بنائه

---

(48) جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، (القاهرة:1975) ، ص59 .

(49) محمد أحمد مشهور الحداد ، حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية ، دار الفتح ، ط1 ، (بيروت:1973) ، ص174 .

(50) ماتفييف ، تطور الحضارة :468/4 .

(51) الملاط : الطين الذي يجعل بين سافي البناء ويُملط به الحائط ، وفي صفة الجنة : وملاطها مسك أذفر هو من ذلك ويُملط به الحائط أي يُخلط . ينظر : أبن منظور ، لسان العرب : 406/7 .

(52) ما تفييف ، المرجع نفسه :469/4 .

(53) زنجبار : وهي إحدى جزر الساحل الشرقي الأفريقي وأكبرها ، وتُعد مكان تواجد الأفارقة بكثرة منُذ القدم ، وقد حكمها العرب منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ينظر: نوري ، تاريخ ، ص289.

(500هـ / 1107م)[54]، كما تم تثبيت لوحة أخرى داخل المسجد على أحد أعمدة القبلة وكُتب عليها: ((هذا ما أمر به الشيخ العظيم وصاحب المقام العالي أبو عمران موسى بن الحسن بن محمد الذي ندعو الله أن يمنحه عمراً طويلاً ويجعله منتصراً على أعدائه يوم الأحد من شهر ذي الحجة سنة 500هـ والتي تطابق سنة 1107م))[55].

كما وجدت نقوش عديدة على محاريب المساجد ، ففي مسجد مدينة كيزمكازي (Kizimkazi) بزنجبار والمُشيد سنة 501هـ / 1107م كُتب على الجهة اليمنى للمحراب ((أقم الصلاة لدلوك الفجر)) وفي الوسط ((وقل ربي أدخلني مقاماً محموداً)) أما على يسار المحراب فمكتوب اسم منشئ الجامع و تأريخ تشييده[56]، ووجدت نقوش على أبواب وجدران مساجد أخرى كالجامع الكبير في مدينة مقديشو(Makdishow)[57]، والذي كُتب عليه بخط الثلث ثُبت فيها تأريخ إنشائه في أول محرم سنة 636هـ/ 1238م، وعلى مسجد آخر في المدينة كتابة تدل على أن إنشائه تم على يد الشيرازيين[58] في أواخر شعبان سنة 667هـ/ 1268م وهو مسجد

(54) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص52 .

(55) زكي ، المرجع نفسه ، ص51 .

(56) خولة شاكر الدجيلي ، العلاقات العربية الإسلامية مع الساحل الشرقي الأفريقي حتى القرن التاسع الهجري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد:1980) ، ص241 .

(57) مقديشو : وهي من أهم مدن بلاد الزنج على الساحل الشرقي لأفريقيا ، أسسها المهاجرون العرب المسلمين سنة 295هـ/907م .ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 173/5 .

(58) الشيرازيون : وهم مجموعة من عرب مدينة شيراز وعلى رأسهم حسن بن علي وأبنائه السبعة ، الذين هاجروا إلى الساحل الشرقي الأفريقي سنة 365هـ/ 975م ونزلوا في أماكن متفرقة من الساحل كمدن منبسا ، وكلوة ، وبمبا ، إلا أن مركز دولتهم الإسلامية كان في كلوة . ينظر : زكي ، الإسلام والحضارة ، ص39 .

الأركان الأربع، ونُقش على جدار المسجد الثالث في المدينة اسم مؤسسه، وهو فخر الدين ، في أعلى المحراب[59].

لقد تداخلت بعض أساليب البناء المحلية الأفريقية مع العمارة الإسلامية، إذ وجد عند الباب الشمالي للمسجد الجامع في مدينة غيدى (Gedi)[60]، سنان رمح أسود مثبتة في أحدى أعمدة الباب [61]. وقد دفع ذلك الأمر للقول بأن سكان الساحل قد طوروا حضارة خاصة بهم ، يمكن أن نعرفها بأنها حضارة سواحلية قديمة، ويتضح ذلك من خلال استخدامهم لمواد ونقوش ذات طابع أفريقي كاستخدام عظام أسماك الرنكة [62]، في زخرفة المساجد في مدينة كلوة (Kilwa)، وكذلك الحفر على الصخور المرجانية والنقش بشكل جميل لاستخدامها في تزيين محاريب المساجد[63].

في حين يرى آخرون أن جميع تلك النقوش والزخارف كانت ذات طابع إسلامي هندي يخلو من رسوم الحيوانات والأشخاص لاعتبارات دينية [64]. إلا أن

---

(59) زكي ، المرجع نفسه ، ص44 .

(60) غيدى : وتسمى أيضاً بحرف الجيم (جيدى) وتقع بين جزيرتي مالندي (Malindi) أو مالندا وجزيرة مومباسا (Mombasa) ، ولم تذكر المصادر العربية تلك الجزيرة رغم وجودها بشكل متزامن مع مقديشو، وقد أشتهرت جيدى باستيراد الخزف الإسلامي الأسود والأصفر والفخار ذي النقوش المزججة الصفراء والخضراء . ينظر : ماتفييف ، تطور الحضارة : 460/4 .

(61) الحداد ، حقائق تاريخية ، ص174 .

(62) الرنكة : وهي نوع من أنواع سمك السلمون الذي يعيش في مياه البحار ، إذ يحصل الأفارقة عليها من البحر الأحمر والمحيط الهندي . ينظر : Http://www.Angelfire.com

(63) Kirkman , J . Manara of Khalif : mosques and the tombs . Published in : Oriental Arts, vol. 3 , p . 100 .

(64) The Cambridge History of Africa , vol . 3 , p . 118 .

أغلب النقوش كانت مطعمة بالخط الكوفي ، كالتي وجدت على محراب وقبة مسجد كيزمكازي (Kizimkazi) في زنجبار[65] ولذلك السبب نستطيع القول بأن العمارة ولاسيما على الساحل، هي كاللغة سواحلية خليطة بين العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية والعرب القادمين من شيراز والقادمين من مدن جنوب شرق آسيا، إلا أن النقوش والكتابة والعمارة العربية كانت هي السائدة بسبب كثرة المهاجرين والتجار العرب إلى المنطقة وبينهم عدد من البنائين الحرفيين القادمين من العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية[66].

وفيما يتعلق بأبواب ونوافذ المساجد ، فهي كأبواب ونوافذ الدور، مصنوعة من الخشب المنقوش بنقوش جميلة مطعمة بالمعدن [67]، لتصبح في بعض المناطق بمرور الزمن مصنوعة من الحديد بحكم وجود الحديد في مناطق الساحل ولاسيما في مدينة منبسا[68].

ومن بين العناصر المعمارية التي تم تطويرها في المسجد ، المحراب[69] إذ تحول من شكله البسيط المسطح في بداية الأمر ليصبح مجوفاً، كما أن

(65) الدجيلي ، العلاقات ، ص240 .

(66) Freeman , G . Some Preliminary Observations on Medieval Mosques near Dar AL - Salam . Published in : Tanganyika Notes and Records . No 63 , 1954 , p . 65

(67) Coupland , R . East Africa and its Invaders from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856 (Oxford : 1938) , p . 25 .

(68) شوقي عبد القوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت : 1990) ، ص168.

(69) المحراب : اللفظ حميري ، أي من اللهجات العربية الجنوبية وقد دخل إلى اليمن من الحبشة مع النصرانية ، وأصله الحبشي بمعنى الكنيسة أو المعبد أو الحنية التي يوضع بها تمثال القديس ، إلا أن ذلك

التقوسٌ الموجود فيه قد أضيف إليه فيما بعد، خوفاً من تشبهه بمحاريب الكنائس ، إذ لم يُبنَ المحراب المجوف، إلا عندما جدد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) مسجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة في عهد ابن عمه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، رغم وجوده من قبل في قبة الصخرة [70]. كما أن هناك من لا يحبذ استخدام المحاريب أصلاً بسبب عدم دقة تحديدها وكونها قد تنحرف أثناء البناء فلا تشير إلى الموقع الحقيقي للقبلة، ويُعلق الزركشي على ذلك بقوله: ((من الواضح أن كثيراً من هذه المحاريب إنما وضعها من ليس له معرفة بهذا الفن ولا حرر فيه التحرير التام، فالوجه القطع بجواز الاجتهاد فيه يمنة ويسرة))[71].

إلا أن ذلك الأمر لم يمنع من تطوير المحراب ، إذ تحولت مواد بنائه إلى الحجر بعد أن كانت من الخشب [72]، وليصبح ذا أشكال هندسية رائعة تحتوي على نقوش وعبارات فنية وبخطوط مختلفة، كما ظهرت العُقد في بناء المحراب وهو ما بدا جلياً في محاريب مساجد مدن الساحل الشرقي، ويبدو أن استخدام أسلوب بناء العُقد جاء إلى الساحل مع المسلمين القادمين من مدن شيراز ومدن إسلامية

المعنى لاينطبق والمحراب الإسلامي فهو في المسجد مكان وقوف الأمام للصلاة والذي كان في البداية يُحدد بوضع لواء (راية) ليستدل بها الأمام على مكان وقوفه . ينظر : حسين مؤنس ، المساجد ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت : 1981) ، ص77 .

(70) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة:د/ت) : 67/1 .

(71) محمد بن عبد الله الزركشي ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ،تحقيق : أبو الوفا مصطفى المراغي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (القاهرة : 1385هـ) ، ص363- 364

(72) أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ص117 .

أخرى[73]، في حين نلاحظ أن المحراب الموجود في مساجد مدينة كلوة (Kilwa) قد تأثر بالفن المعماري النبهاني، إذ بُنِيَ المحراب بانحناءة مضلعة مغطاة بالخزف الأزرق المزجج[74]، وقد وجد في تلك المدينة مسجد كبير فيه محرابان مبنيان من الحجر[75].

وقد تم إضافة الخزف الصيني إلى بعض محاريب المساجد كمحراب مسجد مدينة مافيا (Mafia) الذي شوهد على جداره أطباق من الخزف الصيني[76]، ويبدو أن هذا النوع من الخزف قد وصل إلى المنطقة من خلال العلاقات القائمة بين الصين وبعض مدن الساحل كمقديشو (Makdishow)[77]. كما شهد المحراب في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد تطوراً آخر ليصبح مطلياً بالفخار الملون باللون الأزرق ، كمحراب المسجد الجامع في مدينة غيدى (Gedi)[78]. وحُفرت الصخور المرجانية ونُقشت لتستخدم في تزيين محاريب المساجد[79].

وشملت عمارة المسجد تحول سقف المسجد من السقف المسطح إلى السقف المقبب والذي ظهر جلياً في مساجد مدينة كلوة (Kilwa) الذي احتوى على عدد من القباب المستندة مع السقف على حوالي أربعين عموداً مرتبة

(73) مؤنس ، المساجد ، ص137 .

(74) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص61 .

(75) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص68 .

(76) ماتفييف ، تطور الحضارة : 460/4 . وينظر شكل رقم (3) في نهاية البحث .

(77) عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص66 . ووجدت الاطباق الصينية في مقابر المنطقة .شكل (5) .

(78) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص59 ؛ الحداد ، حقائق تاريخية ، ص174 . وينظر شكل رقم (2) .

(79) The Cambridge History of Africa , vol 3, p . 118 .

بأربعة صفوف، وبذلك ينقسم المسجد إلى مربعات يعلو كل منها قبة [80] إلا أننا نلاحظ أن سطح المسجد الجامع في مدينة كلوة (Kilwa)، والمسمى بالجامع العظيم لسعته كان مسطحاً على العكس من بقية المساجد التي تمتاز أسطحها بأنها دائرية، وكان ذلك الجامع قد أعيد بناؤه أكثر من مرة ليستقر في عهد السلطان سليمان بن الملك العادل(835-856هـ /1431-1452م)، وينقسم البناء على قسمين الأول شمالي ذو سقف مسطح، و الثاني جنوبي ويتميز سطحه بوجود منارات وقبب زرقاء، وإلى الشرق منه يقع ممر فيه منارة أسطوانية كبيرة[81]. كما أحتوى الجامع الكبير في مدينة مقديشو(Makdishow) على منارة اسطوانية[82].

ويؤكد استخدام المنارة الأسطوانية في مساجد السودان الشرقي على تأثر المنطقة بالعمارة الإسلامية في العراق والجزيرة العربية، إذ إن مآذن تلك المناطق تكاد تنفرد بكونها أسطوانية الشكل على خلاف مآذن بلاد الشام ذات البدن المربع ، وكذلك مآذن المغرب الإسلامي المربعة أو المخروطية[83].

وأسهم التطور العمراني بمرور الزمن وقيام العديد من الدول والممالك الإسلامية ولاسيما في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد في تحول شكل القباب في المساجد لتصبح كروية أو مدببة، كما أصبحت الأسقف في بعض المساجد نصف أسطوانية، و قد ظهرت تلك التغييرات بشكل واضح في

(80) محمد عبد الفتاح إبراهيم ، أفريقيا ـ الأرض والناس ـ مع العناية بسمات ومؤثرات بعض الطوابع الثقافية الأفريقية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة : د/ت) ، ص13 .

(81) الدجيلي ، العلاقات ، ص238-239 .

(82) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص44 .

(83) مؤنس ، المساجد ، ص134 .

مدينة كلوة (Kilwa) أكثر من غيرها لكونها قد سيطرت في تلك الحقبة على أغلب مدن الساحل[84].

ولم يقتصر تأثر العمارة الإسلامية في الساحل الشرقي لأفريقيا بالمشرق بل تعداه ليشمل مصر والمغرب الإسلامي، إذ أن القباب النصف كروية ذات المقطع المدبب كانت موجودة أصلاً في جامع أحمد بن طولون في القاهرة، وكذلك في جامع قرطبة[85]. ونستطيع من خلال ما سبق نفي القول إنّ ((العمارة السواحلية بهيكلها وبأسلوبها في البناء الديني والمدني وتقنيات البناء لديها وقوالبها من الأحجار المنحوتة وبنقوشها الزخرفية قد حافظت خلال قرون على التقاليد الأصلية التي كانت تميزها عن تلك العمارة الخاصة بالجزيرة العربية وبلاد فارس والبلاد الإسلامية الأخرى)) [86].

ومن الأجزاء الأخرى التي تمت إضافتها إلى داخل المسجد، المقصورة، التي لم تكن معروفة في صدر الإسلام والتي لم يؤسس لها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده بسبب وجود ها في كنائس النصارى ومعابد اليهود إذ كانت تستخدم لصلاة الخواص [87]. وقد أشار القرطبي إلى أنه ((لا يجوز اتخاذها ولا يصلى فيها لتفريقها الصفوف ، وحيلولتها التمكن من المشاهدة)) [88]. إلا أن مقتل الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهم داخل المسجد، شجع معاوية بن أبي سفيان

(84) ماتفييف ، تطور الحضارة : 469/4 .

(85) مؤنس ، المساجد ، ص143 .

(86) ماتفييف ، تطور الحضارة : 4/ 472 .

(87) مؤنس ، المساجد ، ص148 .

(88) الزركشي ، إعلام الساجد ، ص375 .

إلى اتخاذ مقصورة له داخل المسجد ليصلي فيها بمعزل عن الناس [89]. وكانت المقصورة في بادئ الأمر تُصنع من الخشب [90]، على شكل حواجز تحيط بجزء صغير من المسجد عند جدار القبلة ويدخل إليها أما من باب خاص ملاصق لجدار القبلة، أو من باب في صحن المسجد نفسه [91]، ثم تطورت بعد ذلك لتصبح غرفاً مبنية من الحجر قائمة بذاتها[92].

ومثلما انتقلت فنون البناء إلى السودان الشرقي من خلال المهاجرين والتجار والدعاة وغيرهم، فقد انتقل شكل وطراز بناء المقصورة أيضاً، فقد شاهد ها الرحالة أبن بطوطة في جامع مدينة مقديشو (Makdishow) الكبير، وفي جامع كلوة (Kilwa) الكبير [93]، وكانت مقبية وواسعة [94]، كما وجدت في بعض المساجد غرف مخصصة للاستقبال، فضلاً عن وجود مبان خاصة لسكنى الغرباء الوافدين إلى المدينة كتلك الموجودة في جامع تكوا (Tkowa) في أرخبيل لامو (Lamu)، فضلاً عن غرف الإمام وخادم الجامع[95].

(89) الطبري ، تاريخ الرسل : 195/3 ؛ بينما يشير البلاذري إلى أن مروان بن الحكم هو أول من اتخذ المقصورة . ينظر : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، (بيروت:1403هـ) ، ص21 .

(90) شمس الدين السخاوي ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار الكتب العلمية ، ط 1، (بيروت:1993) : 223/1 ؛ سنية قراعه ، مساجد ودول ، (القاهرة:1958) ، ص214 .

(91) أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، (بيروت : 1968) : 345/2 .

(92) أبن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : 15/3 .

(93) أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ص 170 ؛ وينظر أيضاً : مسيو جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية ، ترجمة : يوسف جمال ، ط1 ، (القاهرة : 1927) ، ص180 .

(94) الدجيلي ، العلاقات ، ص239 .

(95) Kirkman, J . The Mosque of The Pillar Oriental Arts , Published in : The Arts of Islam and The East , vol . 3 (Germany : 1952) , p. 176-180 .

وفضلاً عن ذلك فقد تم تطوير القناديل (الثريات) المستخدمة لإنارة الأماكن المظلمة في المسجد ، والتي لم تكن جديدة عليه فأول استخدام لها كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في سنة 9هـ / 630م من قبل الصحابي تميم الداري رضي الله عنهم[96]. وبمرور الزمن استخدمت القناديل الزجاجية الملونة الخضراء والزرقاء والتي تشابه تلك الموجودة في مساجد مصر في العصور الوسطى [97]، مما يدل على الرقي الحضاري[98] .

ومن الأجزاء الأخرى التي وجدت في المسجد الميضأة ـ أي مكان الوضوء ـ التي أُقحمت إلى المسجد بعد أن كانت تُعد مشينة للمسجد ولقدسيته، وقد شكل بناء الميضأة في الماضي مشكلة كبيرة بالنسبة للمسجد ، إذ لم يكن اختيار مكان بنائها سهلاً وذلك لحاجتها للماء الجاري ، الذي لم يكن توفيره عملاً سهلاً، فالمعماري الذي يبني المسجد يُفكر في كيفية تصريف الماء الزائد من الميضأة، خشية أن يدخل المسجد ويؤذي المصلين، ولذلك تم بناؤها في طرف المسجد[99].

وكما في بقية مساجد العالم الإسلامي فقد بدت الميضأة في مساجد السودان الشرقي بسيطة في بادئ الأمر، ففي باب كل مسجد ـ ولاسيما في مدن الساحل ـ كان هناك بئر أو بئران يستخدمان لسحب الماء ، للوضوء والشرب وتنظيف

(96) عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 2002) : 428/1 – 429 .

(97) المقريزي، المواعظ : 274/2؛ أدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب اللبناني، ط4، (بيروت: 1967): 2/

(98) ما تفييف ، تطور الحضارة : 472/4 .

(99) مؤنس ، المساجد ، ص147 .

المسجد، ولم تكن تلك الآبار عميقة ، حيث يستطيع المصلي رفع الماء بواسطة قدح مربوط بعصا، ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه وتوضأ ، ثم يتوجه نحو باب المسجد ليجد حصيرة خشنة يمسح بها رجليه قبل الدخول [100]. ويبدو أن الأفارقة كانوا من الملتزمين في مسألة إبعاد الميضأة عن مكان الصلاة فنلاحظ وجودها على مسافة ليست بالقريبة غرب الجامع الكبير في مدينة كلوة (Kilwa)، وتقترب من بئر ماء تحيط به غرفة ذات قبو يرتفع إلى حوالي تسعة أقدام[101].

وفي بعض المساجد تُخصص غرفة تستخدم كدهليز يوصل إلى الجامع، وقد يستخدم هذا المدخل من قبل أفراد الطبقة العليا لكونه يقع في جهة المسجد المقابلة للبئر، إذ يتركون أحذيتهم في ذلك الدهليز قبل الوصول إلى المكان المخصص للصلاة في المسجد[102]، وكان يُطلق على مكان الوضوء في السودان الشرقي اسم المبركة[103]. ويوجد في ساحل تنجانيقا (Tanganyika) آثار مسجدين يعودان إلى القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد ، ويحوي أحدهما وهو الكبير ميضأة كبيرة[104].

ومن جانب آخر فقد أُ دخلت إلى بعض مساجد الس احل الشرقي فكرة دفن الرجال الصالحين أو سلاطين المنطقة وزعماءها داخل الصحن الخارجي للمسجد،

---

(100) أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ص172 .

(101) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص58-59 .

(102) Kirkman , J . Manrani of kilifi , p . 97.

(103) Forester , N . A Note on Some Ruins Near Bagamoyo , Published in : Tanganyika notes and records , no 3 , (London : 1937) , p . 105 .

(104) زكي ، الإسلام والحضارة ، ص54 .

وربما في بعض الأحيان في غرفة داخل المسجد، وفي مسجد مدينة مقديشو(Makdishow) شاهد الرحالة أبن بطوطة قبر والد شيخ المدينة [105]، وقد حملت الكتابات التاريخية التي وجدت في مقديشو (Makdishow) أسماء المدفونين في بعض الجوامع وتواريخ بناءها [106]، كما ضم المسجد الجامع في مدينة غيدى (Gedi) عدداً من القبور[107].

وقد امتاز الساحل الشرقي ولاسيما المدن الساحلية بكثرة المساجد المقامة على أرضه ولاسيما في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، ففي مدينة كلوة (Kilwa) وحدها يوجد نحو ثلاثمئة مسجد، وهو عدد كبير بالقياس إلى عدد مساجد مدينة غيدى (Gedi) البالغة ستة مساجد، ومسجد جامع واحد [108]. وفي حوالي سنة 900هـ/1500م وصلت إلى مدينة براوة (Barawa) الساحلية جماعة من قبيلة طيء قادمة من شبه الجزيرة العربية لتعمل حال وصولها مع من سبقها من المسلمين على عمارة عدد كبير من المساجد ونشر تعاليم الإسلام في المناطق المجاورة[109]، وقد سميت بعض المساجد باسماء الخلفاء الراشدين كمسجد أبو بكر ومسجد عمر ومسجد عثمان، ومسجد علي رضي الله

(105) أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ص170 .

(106) الدجيلي ، العلاقات ، ص245 .

(107) Kirkman , J . The Arab City of Geda , (Oxford university press , London : 1954) , p . 11 .

(108) الحداد ، حقائق تاريخية ، ص174 .

(109) حمدي السيد سالم ، الصومال قديماً وحديثاً ، (مقديشو:1965) ، ص359 .

عنهم عنهم جميعاً في مدينة براوة (Barawa)[110]، والأمر نفسه ينطبق على مدينة هرر (Harrar) ذات المساجد الكثيرة[111].

وعلى الرغم من إشارة المصادر والمراجع إلى الكثير من المساجد في السودان الشرقي التي تقع على الساحل، إلا أن ممالك الحبشة المسلمة ضمت الكثير من المساجد الصغيرة والجامعة[112]، وقد أسهم نشاط التجار العرب وكذلك القادمين للعمل في المناجم الموجودة في إقليم البجة الشمالية في التأثير على رؤساء القبائل، مما مكنهم من بناء المساجد كتلك الموجودة في مدينة هجر (Hajar) وصيحة (Sayha) في الحبشة[113].

ولم يقتصر بناء المساجد على ممالك الحبشة المسلمة، بل وجد بعض منها في داخل الهضبة المسيحية بسبب توغل المسلمين داخلها، ولاسيما في السنوات التي نصح فيها وزير المستنصر بالله (بدر الجمالي) [114] مطران الحبشة الجديد، بالاعتناء بالمسلمين والسماح لهم ببناء المساجد، فحينما وصل المطران إلى الحبشة

(110) محمد محمد أمين ، العرب والدعوة الإسلامية في الصومال في العصور الوسطى الإسلامية ، بحث منشور في مجلة الدارة ، س10 ، ع2 ، 1984 ، ص218 .

(111) سالم ، الصومال ، ص360 .

(112) العمري ، مسالك الابصار ، ص36 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى : 310/5 .

(113) المقريزي ، المواعظ : 1 / 196 .

(114) بدر الجمالي : هو بدر بن عبد الله الجمالي أبو النجم أمير الجيوش المصرية ووالد الملك الأفضل شاهنشاه ، أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً فتربى عنده ونُسب إليه وتقدم في الخدمة حتى ولى إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر سنة 455هـ/1063م ، ثم استدعاه لمصر واستعان به لإخماد فتنة نشبت هناك ، وحينما نجح قلده وزارة السيف والقلم حتى توفي في القاهرة . ينظر : أبن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : 141/5 .

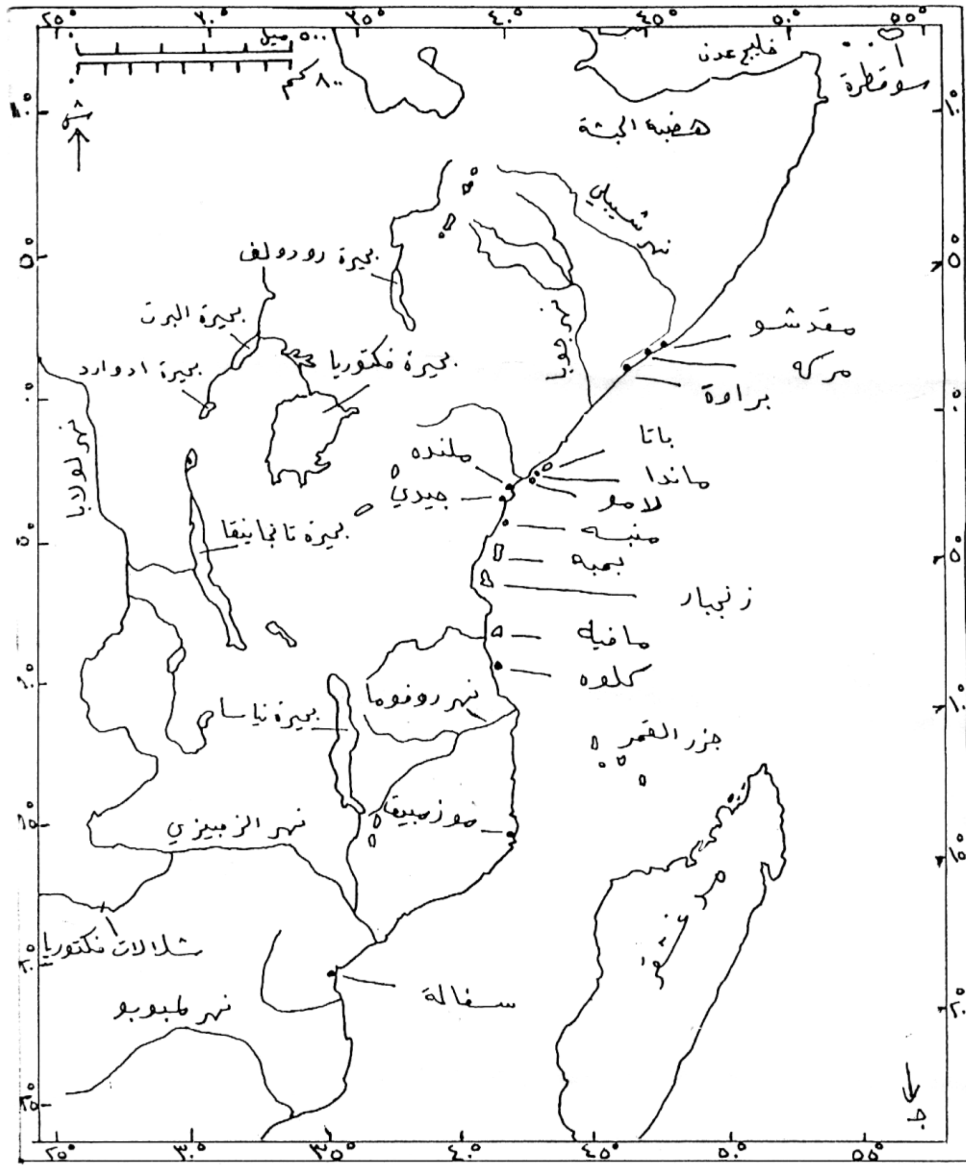
عمل على تنفيذ ما وعد به الوزير فشجع على البناء، مما جعل المسلمين يبنون سبعة مساجد[(115)].

ونستطيع أن نستنتج من خلال ما سبق أن الساحل الشرقي قد تأثر بوسائل وطرائق البناء الموجودة في بلاد المسلمين الأخرى بواسطة التجار والمهاجرين.

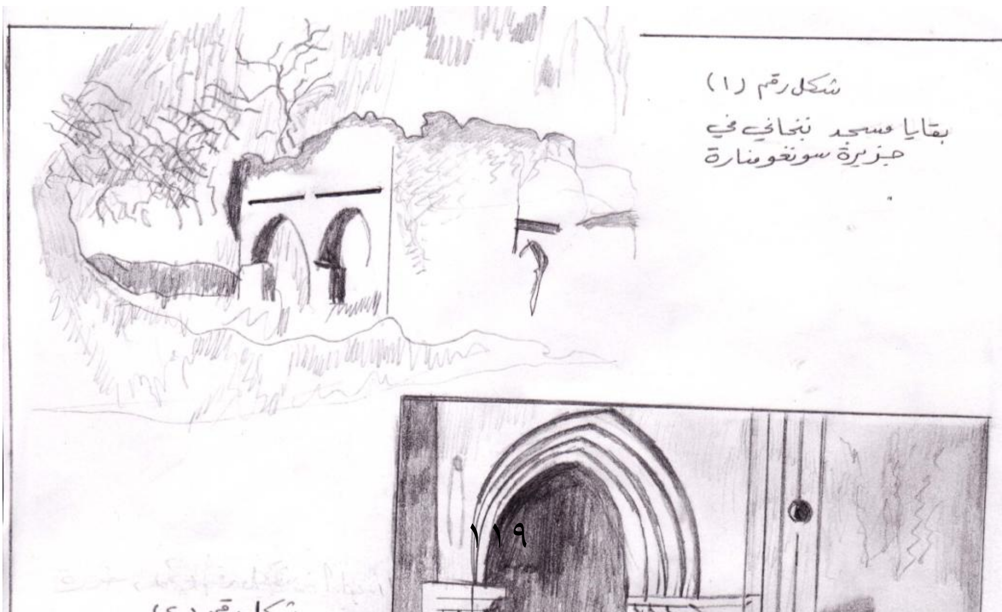
والنتيجة الأخرى التي يمكن التوصل إليها هي أن أغلب طرز البناء كانت عربية المنشأ رغم وجود بعض الطرز غير العربية كتلك القادمة من الصين أو الهند أو ذات الطابع الأفريقي المحلي، وما يدفعنا إلى ذلك هو كثرة النقوش بالخط الكوفي، واستخدام أساليب البناء المتبعة في المدن العربية كالقاهرة وبغداد والقيروان وغيرها.

كما يُلاحظ من خلال البحث أن أغلب المساجد الكبيرة على الساحل قد بُنيت في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد وهي المدة التي أصبحت فيها مدن الساحل في أوج قوتها وتطورها.

(115) فتحي غيث ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، (القاهرة:د/ت) ، ص112 .



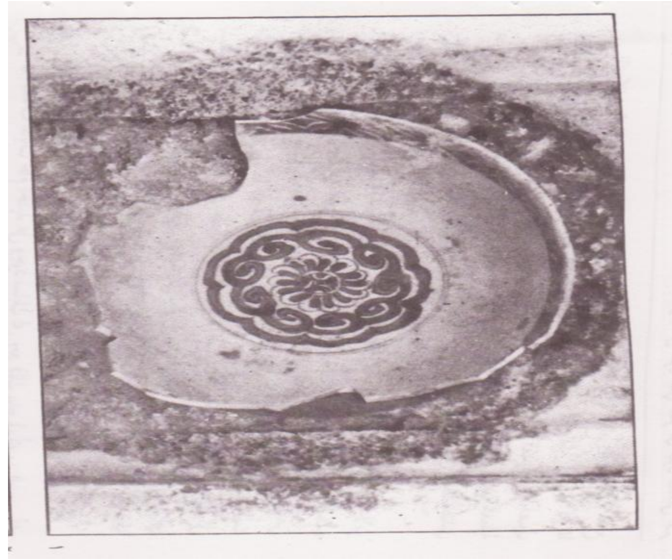
خارطة توضح الساحل الشرقي الأفريقي وهي نقلاً عن عمر سلهم صديق, الحركة الصليبية في ساحل شرق أفريقيا وهي رسالة ماجستير غير منشورة



نقلا عن ف. ف.ماتفييف / تطور الحضارة السواحلية وهو بحث منشور في كتاب تاريخ إفريقيا العام/مج4/ص 460 و ص469



شكل رقم (4)
بقايا المسجد الجامع في مدينة كلوة



شكل رقم (5)
طبق من الخزف الصيني موضوع على جدران إحدى المقابر

Abstract
Mosque Building in The Eastern Coast of Africa Till End of The ninth Century (A.H)

***Dr. Bshar Akrm Gameel*(*)**

The East-African Coast is regarded as one of the oldest locations that has direct contact with the Islamic world . settlers of this territory are characterized by having a very old and strong relationship with Arabs even before Islam. Commerce in general played a big role nourishing this relationship. with the arrival and commencement of the Islamic religion to these locations came a development of relationships spreading them throughout the whole African continent. Migration between the Arab and African lands also played a role similar to that of commerce in fortifying these relationships.

As the number of merchants who established themselves along the African coastline increased along with the arrival of large groups of immigrants, there came a desperate need for mosques to be built both in the original cities along the coastline and the newly established Muslim cities. city planning and development started according to Islamic traditions and architecture and settlers started investing in the building of the mosques. the traditions and architectural styles of the original cities which setters and migrants came from were reflected in the newly–built cities. As time went by small mosques evolved into bigger mosques with Friday prayers and other ceremonial and religions activities. mosques became of very many shapes and sizes and were then followed by the building of all sorts of establishments.

The Arab–Islamic style and tradition controlled the forms of mosques along the East–African coast, although there were a few traces of non–Islamic, non–Arab architecture here and there. A complete architectural view formed as one looks at the mosques and all their parts including the place of prayer, the prayer–call tower and the mosques dome.

(*) Dept. of History - College of Arts / University of Mosul.